مسرح

فنّ رواية قصص تحاكي الإنسان ومجتمعه الحكواتي في مهرجان لبنان المسرحي بمشاركة عربيّة

لم يكن الحكواتي مجرد راو يتجول لكسب رزقه، بل كان يروي قصص الناس، سواء كانت مفرحة أو محزنة. وفي احيان اخرى يسرد انتصاراتهم وطرفهم الفكاهية، مستهدفا نقل رسائل اجتماعية وثقافية مهمة، ليكون حلقة وصل بين التراث والمجتمع، وبناء رابط حي بين الناس وتجاربهم اليومية، ليصبح صوت المجتمع ومرآة حياته

بين الماضي والحاضر، لا يزال الحكواتي يحافظ على جوهره: رواية القصص التي تحاكي الانسان، خياله، ومجتمعه. لذلك دخل فن الحكواتي الى المهرجانات الثقافية في لبنان والعالم العربي، وأصبح يدرس احيانا في ورش العمل المسرحية والجامعية، كجزء من التراث الثقافي غير المادي الذي يجب الحفاظ عليه.
لكن تطور وسائل الاعلام ادى الى اندثار الحرفة الاحب الى المخيلة العامة، وخلال الاعوام الاخيرة، برزت محاولات لاعادة احياء ما تجسده هذه الظاهرة من تراث شفهي عربي.
في هذا السياق، لعب الممثل والمخرج قاسم اسطنبولي دورا في إحياء فن الحكواتي في لبنان، من خلال مبادرات ثقافية ومسرحية تهدف الى اعادة الاعتبار الى الفنون الشعبية والتراثية وعمل على اعادة تقديم فن الحكواتي بأسلوب معاصر يجمع بين السرد الشفهي التقليدي والعناصر المسرحية الحديثة. فقدم عروضا حية شارك فيها حكواتيون شباب، واعاد احياء هذا الفن في الساحات العامة والمهرجانات، بعيدا من النمط التجاري والتلفزيوني السائد.
كما ساهم في تدريب جيل جديد من الحكواتيين من خلال ورش العمل، وفتح المجال امامهم لايصال اصواتهم، في وقت تكاد فيه الفنون الشعبية تندثر بسبب ضعف الدعم الثقافي.
منذ 7 سنوات انطلق "مهرجان لبنان المسرحي الدولي للحكواتي" بهدف الحفاظ على الموروث الشفوي والمحافظة على التراث والهوية والفن الحكواتي والعمل على تمريره للاجيال، فشكل المهرجان تظاهرة فنية لتبادل تجارب وممارسات تراثية مختلفة بين بلدان متعددة، وتسليط الضوء على اهمية اللغة العربية الفصحى في الوطن العربي والحفاظ عليها واعادة تأهيل فن الحكاية الشعبية والتراث الشعبي وتسويقه بين الاجيال الجديدة.

> **دول بلاد الشام تتشابه بالحكايا اي عنتر وعبلة والزير سالم**

بفضل هذه المبادرات، عاد الحكواتي ليكون جزءا من الحياة الثقافية اللبنانية، لا كفن تراثي فقط، بل كمساحة حيوية للنقاش والتعبير والتغيير.
هذا العام، نظمت الدورة السابعة من المهرجان في المسرح الوطني اللبناني في بيروت، في سينما كوليزيه التاريخية، تحت شعار "حكايات الأرض والتراث والهوية" بمشاركة الحكواتيين احمد يوسف وايمان ابراهيم من مصر، وبلال زيان وفضيلة احمد بن صالح من الجزائر، وحياة عبد الخالق من تونس ونتالي صباغ ورجاء بشارة وماري مطر من لبنان، وكرمت هذه الدورة الممثل خالد السيد والممثلة والكاتبة منى طايع تقديرا لمسيرتهما الفنية .كما شارك عبر الانترنت الحكواتية مريم معمر وسليم السوسي من فلسطين، جلال التازي من المملكة المغربية، جلال هميلة وهشام درويش تونس، فاطمة الزاكي ونسرين النور وزهراء مبارك من البحرين، وأدير فارس وهاجر بلعيد وفتحي عباسي من الجزائر .
أقيم بالتوازي مع عروض المهرجان "مقهى للحكاية"، وهو عبارة عن فضاء يجمع الحكواتيين بعضهم ببعض، لتبادل التجارب ونقل المعارف، وحض الرواة على ضرورة تسجيل قصصهم الشعبية لدى منظمة الأونيسكو كتراث شفهي، واقيمت عروض موازية لطلاب المدارس وفي الساحات والمكتبات العامة عبر باص "الفن والسلام" للعروض الجوالة والتي تسلط الضوء على القراءة وسرد القصص التقليدية ورواية السير الشعبية التاريخية، اضافة الى اقامة ورش للاطفال حول تأليف حكايات من انتاجهم الخاص، وتدريبهم على الصوت والاداء، وكيفية الالتفات الى الجمهور وعلى الملابس الملائمة لفن مسرح الحكواتيين، في اشراف مدربين وحكواتيين محترفين.
وكان قد نظمت جمعية "تيرو للفنون" و"مسرح اسطنبولي" مهرجان لبنان السينمائي الدولي للافلام القصيرة، في المسرح الوطني اللبناني في سينما كوليزيه التاريخية في بيروت، تحت شعار "ايام الحمرا السينمائية" في تشرين الثاني الماضي.
المهرجان يدعم السينما المحلية والتبادل الثقافي، واقامة الورش التدريبية والنقاشات مع المخرجين وتخصيص مساحة كبيرة لعرض افلام مشاريع الطلاب.
كذلك شاركت مجموعة من الافلام القصيرة الروائية والوثائقية والتحريك من 18 دولة هي المكسيك، لبنان، عمان، الامارات، مصر، تركيا، الارجنتين، فلسطين، البحرين، المانيا، العراق، تونس، الجزائر، سوريا، فرنسا، ايران، المغرب، ايرلندا.
في هذا السياق اجرت "الامن العام" حوارا مع الممثل والمخرج ومؤسس المسرح الوطني اللبناني قاسم اسطنبولي عن اهمية مسرح الحكواتي، واهداف اعادة احيائه من خلال المهرجان الذي تنظمه جمعية "تيرو للفنون" و "مسرح اسطنبولي". ◄

2026

المقال

حتى لا تضيع الهوّية

يواجه التراث اللبناني تحديات كبيرة في عصر التكنولوجيا والانفتاح العالمي تهدد استمراريته وانتشاره بين الاجيال الجديدة. التراث هو الهوية الثقافية التي تميز شعبا عن آخر، يشمل اللغة، الازياء، العادات، المأكولات، الموسيقى، العمارة، والحرف التقليدية. مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي والانبهار بثقافات الغرب، يبتعد الكثير من الشباب عن تراثهم، معتبرين اياه قديما او غير مواكب للعصر.
يعتبر البعض ان الانفتاح الثقافي يتعارض مع الحفاظ على التراث، الا ان هذا الاعتقاد ليس دقيقا اذ ان الانفتاح لا يعني بالضرورة الذوبان او التخلي عن الهوية، بل يمكن ان يكون فرصة لإبراز التراث اللبناني للعالم، شرط ان يقدم بطريقة حديثة وجذابة. للحفاظ على التراث، يجب اولا تعليمه في المدارس والجامعات بطريقة تفاعلية، وربطه بالواقع اليومي للطلاب. كذلك، تلعب وسائل الاعلام دورا مهما، اذ يمكن انتاج برامج ومسلسلات تروي الحكايات الشعبية او تسلط الضوء على العادات والتقاليد.
كما يمكن استخدام التكنولوجيا نفسها في خدمة التراث، عبر انشاء تطبيقات والعاب تعليمية بالعامية اللبنانية، او توثيق الاغاني والموسيقى التراثية رقميا، او حتى عرض الحرف اليدوية على منصات عالمية لدعم الحرفيين اللبنانيين.
من جهة اخرى، يجب تشجيع المبادرات الشبابية التي تربط بين الحداثة والتراث، كتصميم ازياء معاصرة مستوحاة من اللباس التقليدي، او تنظيم مهرجانات تمزج الموسيقى الحديثة بالأغاني الفولكلورية.
كذلك، يجب ان يكون للدولة دور اساسي في دعم المتاحف، وتمويل مشاريع الحفاظ على المواقع التاريخية، ومساعدة الجمعيات الثقافية في نشاطاتها.
في العالم امثلة عدة، تعتبر اليابان نموذجا عالميا في الحفاظ على التراث من خلال دمجه في الحياة اليومية. من اللباس التقليدي مثل "الكيمونو" الى فنون القتال كـ"الكاراتيه"، حافظت اليابان على هذه العناصر من خلال تعليمها في المدارس، وتنظيم مهرجانات تراثية ضخمة، كما دعمت الحرفيين التقليديين تقنيا وماليا. حتى في المدن العصرية مثل طوكيو، نجد احياء تحافظ على طابعها التقليدي جنبا الى جنب مع التكنولوجيا المتطورة.
طورت فرنسا مفهوم المتحف من كونه مكانا صامتا للعرض الى مساحة تفاعلية حية. متحف "كي برانلي" مثلا يستخدم تكنولوجيا الواقع المعزز لسرد قصص التراث العالمي بطريقة جذابة.
وعملت الامارات مثلا على تسجيل التراث غير المادي مثل الشعر النبطي والصقارة، وادرجته ضمن قائمة الأونيسكو. كما انشأت "قرية التراث" و"مهرجان قصر الحصن" لتجربة الحياة التقليدية بطريقة معاصرة.
لا شك في ان الحفاظ على التراث اللبناني في عصر الانفتاح ليس مهمة مستحيلة، بل هو واجب وطني وثقافي يتطلب تضافر الجهود بين الدولة والمجتمع والافراد. الانفتاح يجب ان يكون وسيلة للتفاعل مع الاخر من دون ان نفقد انفسنا. فالأمم التي تنسى تراثها تفقد جذورها، وتضيع في زحمة العولمة. اما لبنان، بتراثه الغني والمتنوع، فهو قادر على ان يواكب العصر من دون ان يتخلى عن ذاته.

ميرنا الشدياق

■ ما اهمية احياء مسرح الحكواتي؟

□ ان فن الحكواتي هو جزء من تراثنا العربي وثقافتنا وهويتنا، كما ان مسرحنا بدأ حكواتيا. في ظل الازمات التي مرت علينا، من المهم توثيق سردياتنا وحكايانا للمحافظة على موروثنا الشفهي الذي هو جزء من التراث العالمي. اذ ان الحفاظ على الذاكرة وتراثنا اللبناني والعربي ضرورة. كما ان الحكواتي مهم اليوم في التراث، كذلك في التعليم داخل المدارس حيث يجب ادخال هذا الفن ضمن البرنامج التعليمي لانه يعلمنا جزءا من الحكايا التي لها علاقة بهويتنا اللبنانية والعربية.

■ ماذا يتضمن مسرح الحكواتي؟ هل هو سردية لواقع معين؟

□ يعتمد فن الحكواتي على سرد شخص لحكاية امام المتلقي، فهو نوع من انواع المسرح الذي يعتمد على فن الحكي. تكون القصص احيانا حقيقية او اسطورية وما زلنا حتى اليوم نتوارث قصصا عديدة من تراثنا العربي ونحكيها. تكمن اهمية هذه السرديات في انها توثق واقعنا وارثنا الماضي وهو امر مهم للمستقبل، خصوصا ان فن الحكي جزء من الموروث الشفهي.

■ كم شخص يتواجد عادة على المسرح في هذا النوع من الفن؟

□ في المهرجان الذي نظمناه خلال ثلاثة ايام، اعتلى المسرح حكواتيا واحدا ليقدم حكايته وكانت تعقد احيانا جلسة حكواتي تضم عددا من الاشخاص يشتركون في سرد الحكاية. هذا المشهد تنقل بين بيروت وطرابلس وبين احياء الحمرا وعين المريسة وطرابلس والميناء والاحياء القديمة في المدينة في اماكن مفتوحة وساحات عامة، في حديقة الصنائع مثلا وفي ساحة التل واسواق طرابلس القديمة. يأتي الناس فجأة، ويتجمهرون حول الحكواتي ضمن مسرح الحلقة وهو نوع من الفرجة. الحكواتي لا يقدم حكاياه فقط داخل المسرح، اذ بدأ قديما في الاحياء والمقاهي في طرابلس وبيروت وفي المناطق.

■ بماذا تتميز هذه الدورة من المهرجانات؟

□ ما يميز هذا العام هو وجود عدد أكبر من الحكواتيين العرب من مصر والجزائر والمغرب وتونس ومصر اضافة الى اللبنانيين والفلسطينيين. وهناك عدد من الحكواتيين قد شارك عبر الاونلاين. ويكون بذلك قد شارك أكثر من 20 حكواتيا في هذا المهرجان بين المباشر والاونلاين. شعار المهرجان هذا العام كان "حكايات الأرض"، وفي لبنان هناك اهمية للحفاظ على الارض والهوية في ظل كل ما يتعرض له بلدنا. شارك في المهرجان اطفال جرحى من غزة يتعالجون في لبنان. كانت فرحتهم كبيرة للاستماع الى الحكايا، واعتلى بعضهم المسرح بجروحهم فكان الموقف مؤثر جدا. لقد توجه المهرجان الى الاطفال الذين ارتادوا المسرح من خلال بعض المدارس وقدمت لهم عروض صباحية.

■ الى اي مدى استقطب هذا المهرجان الجمهور؟

□ الافتتاح كان جيدا، كذلك قبل الظهر من خلال توافد المدارس. في طرابلس اتى في يوم الافتتاح حوالى 250 شخصا على رغم انه تزامن مع حدث زيارة البابا المباركة الى لبنان. كانت الاجواء جميلة على الرغم من كل الظروف، وقد اتى الحكواتيون الى لبنان رغم المخاوف ما يعتبر نوع من المقاومة الثقافية والحفاظ على تراثنا وهويتنا.

■ كيف تمكنتم من تنظيم المهرجان على مدى 7 سنوات على الرغم من كل الظروف؟

□ لم نتوقف عن تنظيم المهرجان حتى خلال كورونا حين تحول الى الاونلاين. ما يميز المسرح الوطني اللبناني انه على رغم الحرب كانت تتحول المسارح الى مكان لايواء الناس، ويكون بذلك قد استمر المسرح بقضيته الانسانية سواء كان كثقافة او كمكان يأوي الناس. تكمن اهمية المسرح الوطني انه يجمع الناس من كل المناطق بين طرابلس وصور وبيروت حيث سينما كوليزيه التي تعتبر كمعلم تاريخي للمدينة والحفاظ عليها واجب لأنها من التراث اللبناني وهويتنا السينمائية.

■ هل تقدمون مسرح الحكواتي خلال ايام السنة؟

□ ننظم احيانا ورش تدريب لفن الحكواتي ونعمل مع المدارس لتدريب الأطفال، ونضع برمجة للحكواتي احيانا تكون اما اسبوعية او بشكل شهري. الحكواتي هو جزء من انشطة مسرحنا. فقد عقدنا تعاونا مع بعض المهرجانات التي تعنى بفن الحكواتي في العالم، ان في الاردن او البرتغال وغيرها. لان الحكواتي وجد لأننا جميعا نحكي وكل بلد يملك تراثه وحكاياه. نحن نتعرف على ثقافات بعضنا البعض من خلال الحكايا وبالتالي نحن نروي قصصنا.

■ اي بلد تقترب حكاياه من قصص لبنان؟

□ دول بلاد الشام تتشابه بالحكايا اي عنتر وعبلة والزير سالم. كما تتشابه بالتقاليد والعادات. كعرب لدينا هويتنا العربية، خصوصا عندما تكون الحكاية باللغة العربية الفصحى.

فن الحكواتي جزء من تراثنا العربي وثقافتنا وهويتنا

شارك في المهرجان اطفال جرحى من غزة يتعالجون في لبنان

■ هل يستعمل الحكواتي على المسرح الديكور؟

□ بعض الحكواتيين يستخدمون الاكسسوارات الخفيفة وبعضهم الآخر يعتمد الحكاية بشكل تقليدي اي يجلس ويفتح كتابا، والبعض يستخدم الدمى او الشاشة. لكن الحكواتي يعتمد بشكل اساس على العلاقة مع المتلقي ولو دخلت بعض التقنيات الأخرى، الا ان الحكاية تبقى حكاية.

■ نظمتم ايضا مهرجان السينما ما اهم ما تميز به؟

□ لقد اتى الى هذا المهرجان مخرجون من الامارات وسلطنة عمان والعراق على الرغم من الظروف التي كانت تسود في البلد. كرمت هذه النسخة من المهرجان الممثل منير معاصري والممثل الراحل نبيه ابو الحسن صاحب شخصية اخوت شانيه الشهيرة .تخللت المهرجان مسابقة رسمية وجوائز وافلام لخريجي المعاهد في لبنان، اضافة الى افلام من اكاديمية الشارقة للفنون الادائية. حضر المهرجان جمهور كبير، حتى اننا استغربنا عدد الناس الذين توافدوا لمشاهدة الافلام القصيرة. علما ان المهرجان يدعم السينما المستقلة. في هذا الاطار، يبرمج المسرح الوطني في بيروت في سينما كوليزيه مهرجاناته، مستعيدا الرونق لشارع الحمرا من جديد.

■ تنظم المهرجانات على الرغم من كل الصعوبات؟ كيف تواجهون ذلك؟

□ كانت تباع فقط التذاكر في هذا المهرجان في بيروت حيث كانت تدفع الناس تذكرة دعم للمسرح، مما جعلنا نستضيف المشاركين في المهرجان ونؤمن لهم الاقامة والتنقل. لقد بدأ المسرح في بيروت ينتعش بفضل دعم الناس الذين هم شركاء جمعية تيرو للفنون في مشاريعنا الثقافية. وهو بذلك يدعم المسرح في طرابلس وصور اضافة الى وجود المقهى والمكتبة في الكوليزيه. نشعر اليوم بفرح اهل بيروت اليوم الذين يدعموننا، والبعض منهم يزور الكوليزيه كمعلم وليس فقط للمشاهدة. ففي الكوليزيه كل يوم سينما او امسية موسيقية، وتستضيف المهرجانات حيث يشارك فيها فنانون من كل العالم.

■ ما هي أبرز النشاطات التي ينظمها المسرح وطني؟

□ مهرجان تيرو الفني الدولي الذي ينظم عادة في صور حيث يكون الافتتاح ومن ثم ينقل الى بيروت ككل عام، فهو مهرجان يجمع بين المسرح والسينما والموسيقى. كل سنة ينظم في كانون الأول وهذه السنة تكون نسخته الثامنة. السنة الماضية نظمنا المهرجان بعد الحرب مباشرة، فكانت عودة الناس الى الفرح وعودة لبلسمة جراحهم. على امل السلام للجنوب، نستطيع من خلال هذا المهرجان بلسمة جراح اهلنا في صور والجنوب ونرسم الفرح على وجوههم، لا سيما الاطفال والشباب الذين هم في حاجة الى هذا المتنفس للتمسك بالامل والشعور بأن لدينا املا في الحرية من كل المحتلين والمستعمرين في البلد.

م. ش